الفصل الرابع

العوامل المؤثرة فى الشخصية المصرية

مقدمة:

من نحن؟: سؤال لا يغيب عن أبناء أى شعب، يعكس اهتمامه بهويته، ورغبته فى وضوح سماته المميزة بين الأمم والشعوب.

والمصريون لا تهدأ تساؤلاتهم ولا رغبتهم فى معرفة أنفسهم، رغبة فى بناء الذات ودعم قدراتها، واستمراراً لدور رائد فى بناء الحضارة ودفع مسيرتها.

ومن خلال هذا الفصل نتعرض: لمفهوم الشخصية المصرية، والعوامل المؤثرة فيها، والشخصية المصرية بين ابن البلد والفهلوى، وأهم الدراسات الميدانية التى تعرضت للشخصية المصرية.

مفهوم الشخصية المصرية:

إذا كانت الشخصية تنظيم داخلى للسمات والاتجاهات والاستعدادات والاتساقات السلوكية فهى ايضًا بنية تتجاوز تنظيمها الداخلى حيث أبرز معالمها المميزة أن النظرة إلى العالم والتعرض له متضمنة فى تكوينها، فالشخصية طريقة للوجود والسلوك[1]. إذا كانت هذه هى الشخصية فما هو مفهوم الشخصية المصرية؟

الشخصية المصرية ليست قالبًا جامدًا يتضمن عددًا من السمات الحضارية والنفسية التى لا تتغير ولكنها انعكاسا لنمط المجتمع بما يتضمنه من علاقات اقتصادية وسياسية فى حقبة تاريخية محددة.

فالمصرى اليوم ليس هو ابن فراعنة الامس فحسب لأن الشخصية المصرية أعيدت صياغتها بالكامل عقب الفتح العربى الإسلامى لمصر، كما أن هذه الشخصية لحقها التغيير بفعل الاحتكاك الحضارى الواسع المدى الذى تم نتيجة تعرض مصر لعديد من الغزوات الأجنبية[2].

وفى اطار بحثنا عن مفهوم الشخصية المصرية يصادفنا مفهوم الطابع القومى للشخصية National personality حيث أوضح مصطفى سويف أن دراسة الطابع القومى للشخصية تعنى دراسة أكثر سمات الشخصية شيوعًا فى أى مجتمع للوصول إلى تقديم صورة مؤلفة من هذه السمات تسمى الشخصية المنوالية Modal pessonality نسبة إلى المنوال: وهو مقياس احصائى يشير إلى أكثر القيم شيوعًا فى أفراد أية مجموعة نقوم ببحثها.

ويرى السيد ياسين أن الشخصية القومية: مصطلح يستخدم لوصف السمات النفسية والاجتماعية والحضارية لأمة ما، تلك التى تتسم بثبات نسبى والتى يمكن عن طريقها التمييز بين هذه الأمة وغيرها من الأمم، أما الشخصية المنوالية فهو مصطلح

---

(١) فرانك . ت سيفرين، علم النفس الإنسانى، ترجمة: طلعت منصور، عادل عز الدين، فيولا البلاوى، القاهرة: الانجلو، ١٩٧٨، ص٤٣٩.

(٢) عبد اللطيف محمد خليفة، شعبان جاب الله رضوان،الشخصية المصرية: الملامح والابعاد: دراسة سيكولوجية، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٨ ص٦٩.

استخدمه رالف لينتون واعتمد فيه على المصطلح الاحصائى المعروف بالمنوال لكى يشير إلى نمط الشخصية الذى يظهر بأكبر قدر من التكرار بين مختلف أنماط الشخصية فى مجتمع محدد[١].

ويعرف انكلز وليفسنون inkeles & levinson الطابع القومى أنه خصال الشخصية الثابتة نسبيًا والانماط المنوالية بين أعضاء المجتمع الراشدين.

ويرى براون أن الشخصية القومية تعنى مدى التشابه بين الانماط السلوكية السائدة بين جميع أفراد مجتمع ما يتسم بناؤه بالاستقرار والثبات، وفى حالة ما إذا تغير البناء يجب إعادة النظر فى هذا المفهوم.

وأشار كريتشن وكرتشفيلد إلى أن مفهوم الشخصية القومية مفهوم احصائى يشير إلى توزيع عدد من السمات بين أفراد قومية ما، كما قد يشير إلى الانماط الممثلة فعلا للسلوك الاجتماعى الشائع داخل قومية معينة.

و قد أثار هذان الباحثان بعض الشكوك حول مدى صحة القول بوجود الشخصية القومية فى المجتمعات الحديثة لاتساعها وتعقدها وأوضحا أنه إذا اثبت البحث العلمى مشروعية وجوده، فإن هذا الوجود لن يعتمد على الجوانب الفطرية بين المجتمعات المختلفة ولكنه سوف يقوم على مصادر ثلاثة:

١ـ مستوى الاحباط لدى شعب ما ونمط السلوك الذى يتبعه أفراد هذا الشعب لخفض التوتر الناتج عن الاحباط.

٢ـ نمط الثقافة السائد وعلاقته بنمط الشخصية الذى يسمح له بالظهور لدى معظم أفراد المجتمع.

٣ـ أنماط المعتقدات والاتجاهات السائدة لدى معظم أفراد المجتمع[٢].

وترى عزة عزت أن الشخصية القومية تتشكل بوجه عام من مجموع السمات الفردية التى تكتسب صفة العمومية والتى يمكن أن نقول عنها أنها سمات سائدة بين

(١) السيد ياسين، الشخصية العربية بين صورة الذات ومفهوم الآخر، القاهرة: مكتبة مدبولى، ١٩٨٩ ص٧٣.

(٢) عبد اللطيف محمد خليفة، مرجع سابق ص٩١.

معظم أفراد مجتمع ما وهى سمات عامة سلبية وإيجابية، وكما تشكل السمات الفردية الشخصية القومية تشكل العيوب الفردية فى تجمعها عيوب المجتمع فتتشكل الشخصية القومية بإيجابياتها وسلبياتها[١].

أما فرج أحمد فرج فيعرف الشخصية القومية بأنها الخواص والسمات المنعكسة للواقع الاجتماعى والاقتصادى والتاريخى للوسط الذى يعيش فيه الفرد وأن خواص الشخصية فى وسط ما ليست خواصًا منفصلة عما حولها ولا تتأثر به ولا تتغير بتغيره.

ويرى عاطف وصفى أن دراسة الشخصية القومية تعنى دراسة أكثر سمات الشخصية شيوعًا فى أى مجتمع للوصول إلى تقديم صورة تجمع هذه السمات، وقد يكتفى الباحث بهذا الوصف أو يتبعه بمحاولة لتفسير نشوء هذه السمات[٢].

أما عبد العزيز الرفاعى فإنه يعرف الشخصية القومية المصرية بأنها مفهوم اجتماعى وحقيقة سلوكية وليست مجردة تتميز بخصائص سلوكية ثابتة وهى أكثر الخصائص شيوعًا فى بناء الذات على نحو يميزها عن غيرها فى مجتمع الدولة.

أما د. قدرى حفنى فقد أوضح أنه رغم شيوع مصطلح الطابع القومى إلا أنه يفضل الحديث فى هذا المجال عن شخصية الجماعة وذلك لعدة اعتبارات من أهمها:

١ـ تحاشى ما يمكن أن يثيره مصطلح الطابع القومى من ربط بين مجال البحث ومفهوم القومية.

٢ـ يسمح الحديث عن شخصية الجماعة بالتعرض للعديد من التصورات التى صاغها المتخصصون وغير المتخصصين لموضوع شخصية الجماعة.

وقد عرف قدرى حفنى شخصية الجماعة بأنها مجمل تلك الخصائص المستمرة نسبيًا الذى يكفل فهمًا تفسيرياً وتنبؤيًا للنشاطات الظاهرة لاعضاء جماعة معينة فى فترة تاريخية محددة يتسم بالاتساق داخليا وخارجيًا فشخصية الجماعة هى حصيلة

(١) عزة عزت، الشخصية المصرية فى الامثال الشعبية، القاهرة: دار الهلال ١٩٩٧، ص٢٦.

(٢) عاطف وصفى، الثقافة والشخصية: الشخصية المصرية التقليدية ومحدداتها الثقافية، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨١ ص ٥١ .

تفاعل الخصائص المختلفة. فنفس الخصائص قد توجد لدى العديد من الجماعات ولكن ما يميز جماعة عن أخرى هو الصورة المتكاملة التركيب لتفاعل تلك الخصائص معًا فى ظروف محددة[1].

وفى اطار التعريفات السابقة التى صادفتنا فيها مفاهيم: الشخصية القومية الشخصية المنوالية، شخصية الجماعة.

يمكن أن نرى أن هذه التعريفات وإن اختلفت فى التسميات إلا أنها تتفق فيما بينها فى وجود شخصية مميزة للشعوب والمجتمعات حيث يكون لكل شعب سماته الواضحة، وهذه السمات تتميز.

١ـ بالشيوع والانتشار بين أفراد المجتمع.

٢ـ بالتنوع ما بين نفسية واجتماعية وحضارية.

٣ـ تتسم بالثبات والاستمرار النسبى.

٤ـ يمكن من خلالها التفسير والتنبؤ بسلوكيات ونشاطات أفراد ذلك المجتمع.

٥ـ تكوين صورة متكاملة تتضح من خلالها قدرة أفراد المجتمع على احراز تقدم فى الحاضر يمكن استثماره وتنميته فى المستقبل.

العوامل المؤثرة فى الشخصية المصرية:

١. الدين:

الشعب المصرى هو أول شعب يصل إلى الوجدانية فى العالم، وقد توصل إلى فكرة التوحيد والبعث من خلال التعامل مع الأرض وحياة النماء وربط الطبيعة بهذا كله حيث ربط مصيره وحياته بالشمس وتصور رحلة الشروق والغروب، وتوصل إلى أن الإنسان ينتقل بعد مماته إلى عالم آخر[2]، فمصر هى بلد الإيمان وجوهر الدين فى قلبها الواحد عبر اخناتون والمسيحية والإسلام هو توحيد يتمثل فى وحدة الآله ووحدة الوجود.

(١) قدرى حفنى، دراسة فى الشخصية الإسرائيلية، القاهرة: مكتبة مدبولى، ١٩٩٣ ص٢٨.

(٢) حسين فوزى النجار، اللاشعور فى تكوين الشخصية المصرية، فى: أبعاد الشخصية المصرية بين الماضى والحاضر، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٩ ص١٢٣.

وقد وجد الإسلام فى مصر جواً مهيبًا جعله يتأصل فيها تأصلاً لم يبلغه فى مكان آخر، فكانت مصر المدافعة عن الإسلام فى مواقعة الكبرى وقدمت له أقدم وأكبر جامعة إسلامية[١].

وكان الأزهر منذ انشائه سنة ٣٦١ هجرية وعلى مر العصور القلعة الشامخة التى حفظت للقرآن لغته، وللحديث مكانته وللدين تعاليمه، وللشريعة أحكامها، وللفقه أصوله وضوابطه وللامة الإسلامية تراثها الحضارى وأصالتها الفكرية فى مواجهة محاولات الغزو الثقافى من الخارج وضد عوامل الاضمحلال والتخلف التى تعرضت لها مجتمعات أخرى.

وبقدر ما كان الأزهر عالمياً بشأنه وطبيعته، كان مصريًا بهويته لأن مصر التى اهتدت بنور الإسلام واحتضنت تعاليمه ومبادئه كان لها سماتها الحضارية المتميزة وتقاليدها ذات الجذور العميقة التى أصبحت رافداً أساسيًا فى تيار الحضارة الإسلامية[٢].

لقد عرفت مصر حياة التدين ولكنها لم تعرف التعصب فى الدين أو الضغينة بسببه، فسلم الدين فيها كما يقول العقاد من لوثة العصبية العمياء[٣]، فالمصريون لم يقبلوا ابدا أن يتحولوا عن التعاليم الدينية السمحة وهى التعاليم التى حملها الصحابة والتابعون إلى مصر، وربما لأن هذا هو السبب فى أن مصر ظلت حصنًا لأهل الجماعة والسنة طوال عصورها الإسلامية وأثبت التاريخ أن الآراء المتطرفة والتعاليم الدخيلة لا تجد قبولاً من المصريين[٤] فكما قال السيوطى: مصر بلد معافاة من الفتن، لا يريدها أحد بسوء إلا جزعه الله.

---

(١) نعمات أحمد فؤاد، شخصية مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧ ص٩٨.

(٢) الأزهر الشريف فى عيده الألفى، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣ ص٢٣.

(٣) عبد الحميد الكاتب، قراءات ودراسات عن مصر والمصريين، سلسلة كتاب اليوم العدد ١٨٠ فبراير ١٩٨١ ص١١٨.

(٤) أحمد سيد محمد، الشخصية المصرية فى العصرين الفاطمى والأموى. القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٩ ص٧.

٢ـ اللغة:

اللغة هى الوسيط الأساسى للتفاعل الإنسانى، فالفرد فى حياته اليومية يتفاعل بصور عديدة مع مواقف الحياة بكل ما تحويه من موضوعات مادية وبشرية، وتتحدد استجاباته تبعًا لنوع التفاعل الذى يحدث بينه وبين هذه الموضوعات فإما أن تكون استجابات قبول أو رفض وتصاغ غالبيتها فى نمط من أنماط السلوك اللفظى(١).

ولعل أهم وظائف اللغة يمكن حصرها فى الوظائف التالية(٢):

١.الوظيفة النفعية Instrumental function

فاللغة تسمح لمستخدميها منذ طفولتهم أن يشبعوا حاجاتهم وأن يعبروا عن رغباتهم وما يريدون الحصول عليه من البيئة المحيطة.

٢.الوظيفة التنظيمية Regulatory function

يستطيع الفرد من خلال اللغة أن يتحكم فى سلوك الآخرين كنوع من الطلب أو الأمر لتنفيذ المطالب أو النهى عن أداء بعض الافعال بمعنى أن اللغة لها وظيفة الفعل أو التوجيه العملى المباشر فمثلا فى عقد القران يتم الزواج بمجرد النطق بألفاظ معينة.

٤.الوظيفة التفاعلية Intepersonal function

تستخدم اللغة للتفاعل مع الآخرين وتبرز أهمية هذه الوظيفة باعتبار أن الإنسان كائن اجتماعى يعيش وسط جماعة.

٤.الوظيفة الشخصية Personal function

من خلال اللغة يستطيع الفرد أن يعبر عن رؤاه الفريدة ومشاعره واتجاهاته نحو موضوعات كثيرة، وبالتالى فهو يستطيع من خلال استخدام اللغة أن يثبت هويته وكيانه الشخصى ويقدم أفكاره للآخرين.

---

(١) عادل أحمد عز الدين الاشول. علم النفس الاجتماعى. القاهرة: الانجلو ١٩٨٧ ص٨٣.

(٢) جمعه سيد يوسف. سيكولوجية اللغة والمرض العقلى. سلسلة عالم المعرفة ١٤٥. الكويت: المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب. يناير ١٩٩٠ ص٢٣

٥.الوظيفة الاستكشافية Heuristic Function

بعد أن يبدأ الفرد فى تمييز ذاته عن البيئة المحيطة يستخدم اللغة لاستكشاف وفهم هذه البيئة.

٦.الوظيفة التخيلية Imaginative function

تسمح اللغة للفرد بالهروب من الواقع عن طريق وسيلة من صنعه هو وتتمثل فيما ينتجه من أشعار فى قوالب لغوية، تعكس انفعالاته وتجاربه وأحاسيسه، كما يستخدمها الإنسان للترويح أو لشحذ الهمة والتغلب على صعوبة العمل واضفاء روح الجماعة كما هو الحال فى الأغانى والاهازيج التى يرددها الأفراد فى الأعمال الجماعية.

٧.الوظيفة الاخبارية informative Function

من خلال اللغة يستطيع الفرد أن ينقل معلومات جديدة ومتنوعة إلى أقرانه بل ينقل المعلومات والخبرات إلى الاجيال المتعاقبة وعلى أجزاء متفرقة من الكرة الأرضية خصوصًا بعد الثورة التكنولوجية الهائلة.

٨.الوظيفة الرمزية Symbolic Function:

يرى البعض أن ألفاظ اللغة تمثل رموزًا تشير إلى الموجودات فى العالم الخارجى.

واللغة بالنسبة لأية شخصية قومية لها أهمية خاصة ترجع إلى أمرين أساسين.

الأول: أنها عنوان على الشخصية، أحد ملامحها الرئيسية التى تعرف بها بين الآخرين.

الثانى: أنها النافذة التى تطل منها الشخصية على تاريخها وحضارتها وقيمها وثقافتها(١).

لهذا إذا ما تخليت أمة عن لغتها أو سمحت للضعف أو العبث أن يشيع فيها: تكون تلك الأمة تخلت عن أهم معلم من معالم شخصيتها، فلا يتصور أحد مثلاً أن

(١) أحمد هيكل، فى الأدب واللغة، سلسلة الأعمال الفكرية لمهرجان القراءة للجميع، القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨ ص١١٨.

يكون الإنجليز بغير اللغة الإنجليزية، ولا أن يكون الفرنسيون بلغة تمتزج فيها الإنجليزية بالفرنسية. كما لا يتصور أحد أن يترك الألمان لغتهم للضعف بحيث لا يتكلمها صحيحة إلا بعض الكتاب والأدباء وكبار المثقفين.

وليس الأمر مقصوراً على الانجليز والفرنسين والألمان وإنما هذا شأن كل الأمم التى تحترم شخصيتها وتحرص على مقوماتها حيث تقوم اللغة بعملية النقل الثقافى من جيل إلى آخر، حيث يعتمد الإنسان على الرموز التى يستخدمها إلى درجة أن القيم الاجتماعية الماضية والتى تنعكس فى لغته تؤثر فى مدركاته وذكرياته وأفكاره وانفعالاته ومشاعره[١].

واللغة العربية واحدة من أقدم اللغات العالمية، ومن أعظم تلك اللغات أدبًا وأعرقها ثقافة وأغزرها علمًا وأغناها تراثًا. إن تاريخ أقدم نصوص مسجلة بهذه اللغة يرجع إلى نحو ستة عشر قرنا منها قرنان قبل الإسلام وأربعة عشر قرنًا فى الإسلام وقد زخرت اللغة بأدب رفيع كان وما زال واحدًا من أهم الآداب الإنسانية المستمرة المتطورة، وأن العلم المسجل بهذه اللغة قد حفظ الكثير من المعارف الإنسانية السابقة على الحضارة العربية ثم أضاف إليها ابداعات شتى[٢].

٣. البيئة الجغرافية:

تلعب البيئة دوراً مهمًا فى تكوين شخصية الإنسان المصرى منذ الآف السنين وحتى العصر الحديث.

ويرى عدد من الباحثين أنها ساهمت فى تشكيل طبيعته واتجاهاته وثقافته حيث امتد النيل بذراعى النماء والخيرات إلى قلب المصرى منذ الالف السادسة قبل الميلاد والتى تميزت بالتغيرات المناخية التى دفعته إلى الاستقرار على جانبى النيل والاشتغال بالزراعة[٣] فالمصرى الذى عاش فى الاحراش والمستنقعات كان عليه أن يواجه التحدى بتجارب تكاد تكون معدومة لا فأس ولا محراث ولا أى شىء. ولكن

(١) عادل الاشول. مرجع سابق ص١١١.

(٢) أحمد هيكل. مرجع سابق ص١١٩.

(٣) محمد محمود الباهى. القيم البيئية فى الشخصية المصري. القاهرة: دار التعاون للطباعة، ٢٠٠١ ص١٨.

المصريين وهم يواجهون هذه الحالة ويفكرون فى الوسائل التى تعينهم على تحويل المستنقع إلى أرض وتحويل الأرض الجافة إلى حقل، والحقل إلى مصدر للحياة استطاعوا فى فترة مبكرة جدا أن يحولوا هذا الوادى إلى جنة وكان أول تفكيرهم هو كيف يضبطون النيل. ومن هنا جاء الشعور بالوحدة فالنهر هو الوحيد الممتد بجريانه من الجنوب إلى الشمال وتم ضبط النيل قبل اكتشاف العلوم الحديثة بآلاف السنين(١).

ويأتى موقع مصر الجغرافى ليمنحها المزيد من التفرد وأبرزها فى هذا الموقع أنه كالقلب من الجسم وواسطة العقد وهمزة الوصل بين آسيا العربية وافريقيا العربية أيضًا، وإذا كان من المتفق عليه أن مصر هى جزء من المشرق العربى فإنها هى التى قدمت المغرب العربى إلى المشرق تاريخيًا وجغرافيًا ويشير جمال حمدان فى دراسته عن شخصية مصر إلى أن موقع مصر وطبيعة نيلها الفيضية وتجانسها الطبيعى والعمرانى وتميزها الاستراتيجى يطبع الشخصية الاقليمية بطابع معين، موقع مصر مثلا يضفى على شخصيتها طابع الوسطية فهى تجمع بين أطراف متعددة وجوانب خصبة وثرية وبين أبعاد واسعة تجعلها أمة وسطًا بكل معنى الكلمة(٢).

٤. الأحداث التاريخية:

يمدنا تاريخنا المصرى بنموذج فريد فى خصائصه لا يكاد يعدله نموذج آخر سواء من حيث قدم النشأة بحيث يكاد يصل توقيتها إلى فجر تبلور الحضارات الإنسانية أو من حيث استمرار وجود هذا الكيان المجتمعى منذ نشأته حتى يومنا هذا دون أن يندثر بأى شكل من أشكال اندثار المجتمعات التى يزخر بها التاريخ، أو من حيث القاء الضوء على العناصر الاجتماعية الحضارية الداخلية فى تكوين الهوية الوطنية ودعمها المتجدد، فالمطلع على فصول التاريخ المصرى التى توالت فى حدود بضع الالفيات السابقة على عهد الاسرات يستطيع أن يتتبع عمليات النشوء والارتقاء لهوية المصرية التى تتمثل بذرتها الأولى فى قيام عمل جماعى تواكب نشأته ومسيرته

(١) فتحى رضوان، الشخصية المصرية : البعث الآتى، فى: أبعاد الشخصية المصرية بين الماضى والحاضر، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩ ص٢٥.

(٢) جمال حمدان، شخصية مصر: دراسة فى عبقرية المكان، القاهرة عالم الكتب، ١٩٨٤ ص٦٤٨.

نشوء التجمعات ومسيرتها[١]. ويمدنا التاريخ بعناصر تسهم فى تحديد معالم الشخصية المصرية، العنصر الأول فيها هو التحضر: أى الخروج من حالته الوحشية البدائية إلى حالة الإنسانية: إلى المجموعة البشرية التى تقبل العيش معًا طبقًا لاصول معينة ومن ثم السماح فى هذا الإطار بظهور قيم مصر فكانت أول بلد فى العالم يضع اطارًا للقيم وكما ذكر بريستيد فى كتابه فجر الضمير أن الضمير القيمى هو نتاج مصرى فى المقام الأول.

العنصر الثانى هو البقاء والصمود وتحدى الزمن وهضم القراءة.

أما العنصر الثالث فهو تحدى القهر الخارجى بكافة صوره[٢].

وقد أوضح ميلاد حنا أن هناك من الناحية التاريخية أربعة أعمدة هى: الانتماء الفرعونى، والعصر اليونانى الرومانى، والعصر القبطى، والعصر الإسلامى، وجميعها أثرت فى الشخصية المصرية بدرجات متفاوتة وأمدت لحاضرها بتراث مجيد وميزتها بطابع فريد إلا أن الشخصية المصرية أيضًا لحقها التغير بفعل الاتصال الحضارى الواسع الذى تم نتيجة تعرض مصر لعديد من الغزوات الاجنبيه التى استوطن بعضها دلتا وادى النيل فترات طويلة، كما تأثر التكامل الداخلى للشخصية المصرية بالسيطرة العثمانية التى نشرت علامات التخلف الفكرى، وفى القرن التاسع عشر كان الاستعمار الاجنبى الذى بسط نظامه على العالم العربى كله[٣] ثم تلى ذلك زرع إسرائيل فى المنطقة العربية لاستنزاف طاقاتها.

ويرى السيد ياسين أن الفترة ما بين يونيو ٦٧ واكتوبر ١٩٧٣ حفلت بأحداث جسام تذبذب فيها ترمومتر الروح المعنوية المصرية مرات عديدة إلا أن حرب اكتوبر تمثل ذروة الايجابية فى الشخصية المصرية، لقد كشفت حرب اكتوبر عن مجموعة متماسكة من القيم أبرزها أهمية التخطيط العلمى المتقن الذى يضع فى اعتباره كل

---

(١) مصطفى سويف، مصر الحاضر والمستقبل، كتاب الهلال العدد ٥٨٩، القاهرة: دار الهلال، يناير ٢٠٠٠ ص١٠٤.

(٢) فؤاد مرسى، الشخصية المصرية: الثوابت والمتغيرات، فى أبعاد الشخصية المصرية بين الماضى والحاضر، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩ ص١٠١.

(٣) عبد اللطيف محمد خليفة، شعبان جاب الله رضوان، مرجع سابق ص٧٠.

الاحتمالات، أثر الجدية فى السلوك التى تمثلت فى التدريب الشاق المتواصل للقوات المسلحة فى تحقيق معدلات عالية من الانجاز، القدرة الخارقة للمواطن المصرى على التكيف مع أعقد المبتكرات التكنولوچية، الجسارة فى مواجهة المجهول وفى تحمل المخاطرة الجماعية فى التخطيط وفى التنفيذ، وسيادة روح الفريق التى كانت وراء كل الانتصارات العسكرية، رشد السلوك الجماعى للجماهير الذى تمثل فى انضباطها وانتظامها ووقوفها وراء قواتها المسلحة، وهذه القيم لو طبقت فى الميدان المدنى وفى النهضة الحضارية لجعلتنا نقفز مراحل تاريخية كاملة ونقترب من الدولة العصرية المتقدمة[1].

الشخصية المصرية بين ابن البلد والفهلوى:

أشار د. حامد عمار ١٩٦٤ إلى أن النمط الاجتماعى القائم لشخصية المصرى الذى تآلفت عوامل الزمان والمكان وأوضاع الحياة على تشكيله هو نمط الفهلوى وحدد عمار مقومات هذا النمط ومظاهره السلوكية وقيمه واتجاهاته على النحو التالى:

١ـ التكيف السريع لمختلف المواقف وهذه القدرة تتميز بجانبى:

أ ـ المرونة والفطنة والقابلية للهضم والتمثل للجديد.

ب ـ المسايرة السطحية والمجاملة العابرة التى يقصد منها تغطية الموقف وتورية المشاعر الحقيقة.

٢ـ نكتة مواتية: فالنكتة تحدث لدى المصرى ترضية ذاتية تريحه وتريح غيره ممن يستمعون إليه، وجاءت النكات المصرية الكثيرة كتعبير عما أصاب الشعب من كبت سياسى واجتماعى وتنفيسًا له من الضائقات.

٣ـ تأكيد الذات: حيث الميل الملح إلى اظهار القدرة الفائقة والتحكم فى الأمور، وهناك فرق بين الثقة بالنفس التى تنتج من طمانينة الفرد إلى نفسه وبين تأكيد الذات الذى ينجم عن فقدان الطمأنينة وعدم الرغبة فى تقدير المواقف تقديرًا

(١) السيد ياسين، الشخصية العربية بين صورة الذات ومفهوم الآخر، القاهرة: مدبولى ١٩٨٩ ص ٦٢ .

موضوعيًا، والتكيف الذى ينتج عن مثل هذا التأكيد للذات قد يظهر فى صورة الاستهتار أحيانًا والتهكم على الغير أحيانًا أخرى.

فالإفراط والمبالغة والتهوين من قدر الآخرين ومن قيمة أعمالهم هو الجانب السلبى لتأكيد الذات.

٤ـ نظرة رومانتيكية إلى المساواة: وقد أدت الرغبة فى تأكيد الذات إلى نظرة رومانتيكية للمساواة كقيمة من القيم المهمة فى المجتمع المصرى حيث يشعر الفرد فى قرارة نفسه بالنقمة والسخط على الاوضاع التى توجد التمايز والتفرقة، ومن سمات شخصية الفهلوى قدرته على الازاحة والاسقاط فهو يزيح المسئولية عن نفسه إلى غيره من الناس أو يسقطها على أمور خارج نطاق الذات بهدف تيسير أو تبرير تقصيره فى المسئولية الاجتماعية.

٥ـ الطمأنينة إلى العمل ا لفردى: وليس هذا من قبيل الانانية وإنما هو تأكيد للذات من ناحية، وانصراف عن احتكاك الذات بغيرها مما قد يعرضها لمواقف قد لا تطمئن إليها أو تذوب فيها شخصية الفرد فى شخصية الآخرين.

٦ـ أقصر الطرق: ويتصل بالنزعة السابقة الرغبة فى الوصول إلى الهدف بأقصر الطرق وأسرعها وعدم الاعتراف بالطرق الطبيعية.

وأوضح «عمار» أن هذا النموذج الذى صاغه هو مجرد فرض يحتاج إلى مزيد من النقاش واستكمال الأدلة التى تثبته أو تدحضه، وأن هذه السمات جميعًا هى وليدة الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية وأنواع المؤسسات والنظم التى ترتب كيان المجتمع وأنها ليست مقومات طبيعية فى المصرى نشأت ونمت وستظل هى مقوماته أبدا وإنما هى قابلة للتغير والتحور[١].

وقد اقترح عمار فى مقابل الشخصية الفهلوية: الشخصية المنتجة والتى تتميز بمحورين أساسيين: أولهما التعقل وثانيهما: العمل.

---

(١) انظر حامد عمار: فى بناء البشر: دراسات فى التغير الحضارى والفكر التربوى، مركز تنمية المجتمع فى العالم العربى سرس الليان، ١٩٦٤ من ص ٨٠ ـ ٩٠.

محورالتعقل: حيث يمكن الحكم على أى سلوك بأنه متعقل فى ضوء معيارين:

١ـ كونه حلقة فى سلسلة منتظمة من السلوك يرتبط ببعضها البعض لتحقيق أهداف مقصودة.

٢ـ قدرة الشخص الملاحظ لهذا السلوك على أن يحسبه ويقدره ويتوقع امكانية فاعليته فى بلوغ الهدف، كما يستطيع الملاحظ أن يتابعه إذا أراد المشاركة فيه.

والتعقل لدى الشخصية المنتجة هو التعقل الواعى الذى يجعل المرء مدركًا لنتائج ما يقوم به، واعيًا لآثاره بحيث يستطيع أن يعدل من أهدافه.

والشخص الذى لا يستطيع أن يقوم أعماله ويأخذ نشاطه على علاته غير قادر على النمو ومواجهة المواقف الجديدة خاصة إذا لم يكن هناك بد من أن يعيش فى مجتمع متطور متجدد.

والعقل الواعى يتضمن قدرة الفرد على الحكم المستقل، وقدرته على الابتكار والتلقائية والابداع، وقدرته على الاستجابة لما حوله فى ضوء ادراكه لمستلزمات الأمور.

أما محور العمل فيعنى الاحساس بالقيمة ا لاجتماعية للعمل والإنتاج والمشاركة فى مجالات النشاط الجتماعى، وربط الإنتاج المادى أو الفكرى والفنى بحاجات المجتمع وآماله وأمانيه وماضيه وحاضره ومستقبله[١].

وتلا دراسة حامد عمار دراسة عبد الهادى عفيفى سنة ١٩٧٢ محاولاً تحديد السمات المميزة للشخصية المصرية عبر استقراء الامثال الشعبية وتحليلها وتفسيرها.

وقد توصلت هذه الدراسة إلى مجموعتين من السمات المميزة للشخصية المصرية:

١ـ سمات شخصية ابن البلد.

٢ـ سمات شخصية الفهلوى.

وتتكون سمات شخصية ابن البلد من ثلاث مجموعات:

(١) المرجع السابق ص٩٦ - ١٠٢.

المجموعة الأولى: وتتضمنها صفة الجدعنة. والشخص الجدع يتحلى بالصفات التالية:

١ـ الإيمان بالعمل. ٢ـ الإيمان بالعلم.

٣ـ الذكاء. ٤ـ قوة الذاكرة.

٥ـ القدرة على التكيف. ٦ـ التعاون.

المجموعة الثانية: وتتضمن صفة حب الفكاهة والميل للنكتة، وهذا الشخص يتصف بسمات:

١ـ البشاشة. ٢ـ انتظار الفرح.

٣ـ التمتع بالحس الجماعى. ٤ـ الصدق والود.

المجموعة الثالثة: صفة الطيبة وتتضمن سمات:

١ـ التدين. ٢ـ الكرم والضيافة.

٣ـ الصبر. ٤ـ اهمال المظهر والاهتمام بالجوهر.

أما سمات الشخصية الفهلوية فقد ضمنها أربع مجموعات من السمات: الأولى سمة ا لسلبية فالشخص السلبى يتميز بسمات.

١ـ الانتهازية. ٢ـ النفاق.

٣ـ الانانية. ٤ـ الحقد

٥ـ اللامبالاة. ٦ـ السخرية والنكتة. ٧ـ الحزن.

المجموعة الثانية وضمنت سمات التواكل حيث:

١ـ الإيمان بالحظ

٢ـ عدم بذل الجهد

المجموعة الثالثة: وتشمل صفة العاطفية فالفهلوى لا يستطيع ضبط مشاعره فأحيانا تراه هادئًا رزينًا وأحيانًا تراه يثور ويغضب لأتفه الأسباب.

المجموعة الرابعة: تتضمن صفة التباهى والمظهرية[1].

ومن خلال ملاحظتنا للتصنيفات التى أوردها حامد عمار وعبد الهادى عفيفى فإننا قد نلمس فى الواقع المصرى وجود تلك الشخصيات مع تباين وضوحها وانتشارها بتباين واختلاف ظروف المجتمع.

ففى أوقات الازمات والشدائد نلمح شخصية ابن البلد واضحة ظاهرة حيث التعاون والتضامن والمشاركة الاجتماعية والمبادرة بالعمل من أجل الآخرين، وخير مثال على تلك الاوقات حرب اكتوبر ١٩٧٣، وزلزال سنة ١٩٩٢.

وحينما تتزايد الضغوط الاقتصادية وتختل المعايير الاجتماعية وتصعد طبقات اعتمدت على الثراء السريع والمكسب بلا عمل فإننا نلمح نمط الفهلوى يظهر ويتضح حيث يسعى كل فرد إلى تأكيد ذاته واحراز مكاسب سريعة مع استمرار مقارنة ما فى يده بما يكسبه الاخرون.

سمات الشخصية المصرية من الدراسات الميدانية:

تعددت الدراسات التى تعرضت للشخصية المصرية، وتنوعت ما بين دراسات اعتمدت على تصورات وانطباعات الباحثين، ودراسات اعتمدت على نتائج دراسات التراث الشعبى، وأخرى اعتمدت على دراسات وكتابات سابقة.

ودراسات ميدانية مباشرة، وغير مباشرة: لم تستهدف دراسة الشخصية وإنما رصد ظواهر ثقافية تأثر بها المجتمع المصرى، ولعل من أهم الدراسات الميدانية للشخصية المصرية: دراسات ثلاث:

١ـ دراسة حمدى ياسين ١٩٨٦.

٢ـ دراسة أحمد زايد ١٩٩٠.

٣ـ دراسة عبد اللطيف محمد خليفة ١٩٩٨.

أولاً: دراسة حمدى ياسين ١٩٨٦

تمثل الهدف من الدراسة التعرف على السمات التى تميز الشخصية المصرية

(١) انظر عبد الهادى عفيفى، البيئة ومشكلات المجتمع، القاهرة: الانجلو، ١٩٧٢.

وتحديد معالم الصورة الوطنية المصرية[1]. واشتملت عينة الدراسة على ٦٠٦ مفردة مقسمة إلى أربع مجموعات أو عينات فرعية:

١ـ عينة الطلاب واشتملت على ١٩٥ طالبًا وطالبة بالتعليم الثانوى والجامعى.

٢ـ عينة الفلاحين وتكونت من ٩٣ فردًا من الجنسين جميعهم من الاميين.

٣ـ عينة العمال وقوامها ١٨٨ فردًا من الذكور من الاميين والحاصلين على الاعدادية الصناعية والثانوية الصناعية.

٤ـ عينة الموظفين وتضمنت ١٣٠ مبحوثاً من الجنسين والحاصلين على الشهادة المتوسطة والجامعية.

أما بالنسبة للاداة المستخدمة فى هذه الدراسة فاشتملت على ١٠٠ بند لقياس ١٤ سمة وهى:

١ـ اللامبالاة	٢ـ التواكلية	٣ـ الجمود
٤ـ الانفرادية	٥ـ السلبية	٦ـ الكرم
٧ـ المظهرية	٨ـ الانفعالية	٩ـ الارتجالية
١٠ـ خفة الظل	١١ـ الصبر	١٢ـ التدين
١٣ـ الوطنية	١٤ـ الاجتماعية	

وقد تم اعداد مقياس السمات بناء على مقارنة نتائج ثلاثة مصادر:

ـ استمارة صممت للخبراء

ـ استمارة صممت لفئات الشعب المختلفة من فلاحين وعمال موظفين وطلاب.

ـ الدراسات السابقة

وعلى هذا فالسمة تتمتع بالتكرار العالى فى كل مصدر من المصادر السابقة، مع ضرورة تواجد السمة فى المصادر الثلاثة.

(١) حمدى ياسين، الشخصية العربية بين السلبية والايجابية. القاهرة: دار الكتاب الجامعى، ١٩٨٦.

وأوضحت النتائج ما يلى:

ـ اتفقت العينات الاربع على عدد من السمات الايجابية المميزة للصورة المصرية وهى:

١ـ التدين ٢ـ الوطنية ٣ـ الصبر

٤ـ الاجتماعية ٥ـ الكرم

كما أن أبرز السمات السلبية:

١ـ اللامبالاة ٢ـ التواكلية ٣ـ الجمود

٤ـ الانفرادية ٥ـ السلبية

دراسة أحمد زايد ١٩٩٠

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن أبعاد الشخصية القومية المصرية[١].

وتكونت عينة الدراسة من ٩٠٠ مبحوث تمثل سكان الجمهورية بمستوياتهم المختلفة التعليمية والعمرية والمهنية والنوع ومحل الاقامة.

واشتملت الادوات المستخدمة فى هذه الدراسة على كل من:

١ـ المقابلة المتعمقة مع بعض المتخصصين والمثقفين بهدف الكشف عن أهم الخصائص التى يمكن أن تركز عليها الدراسة الميدانية.

٢ـ الاستبيان واشتمل على ٨٣ سؤالاً تغطى تسعة جوانب أساسية:

ـ علاقة المصرى بالآخرين ـ المعرفة السياسية

ـ الاتجاهات السياسية ـ المشاركة السياسية

ـ مفهوم الصبر، والتدين، الفكاهة والمرح، التوكل، والتواكل.

وكشفت نتائج هذه الدراسة عن أن سمات الشخصية المصرية تتمثل فى الآتى:

---

(١) أحمد زايد، المصرى المعاصر: مقارنة نظرية وامبريقية لبعض أبعاد الشخصية القومية المصرية، القاهرة: المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، ١٩٩٠.

١ـ التناقض والازدواجية: من أبرز السمات التى يتسم بها سلوك المصرى المعاصر ومن أشكال هذا التناقض:

أ ـ التناقض بين الاحكام المثالية والسلوك العملى.

ب ـ ازدواجية القول والفعل.

٢ـ الشك والتوجس .

٣ـ التعلق بالاشخاص.

٤ـ الميل التبريرى.

٥ـ السلبية.

٦ـ التدين.

٧ـ الصبر.

٨ـ الفكاهة والمرح.

٩ـ التواكل ورفضت النتائج هذه السمة حيث تبين أن المصرى أميل إلى التوكل وليس التواكل حيث يدفعه سلوكه الدينى ومعتقداته الراسخة إلى ربط العمل بالتوكل على الله.

دراسة عبد اللطيف محمد خليفة ١٩٩٨[١]

تكونت العينة الكلية للدراسة من ١٣١٧ شخصًا من الذكور والاناث من الطلاب الجامعيين والموظفين وأعضاء هيئة التدريس بجامعة القاهرة ممن يقطنون أنحاء مختلفة بالقاهرة الكبرى. وتوزعت العينة كما يلى:

ـ ٧٠١ طالبة وطالبة.

ـ ٥٨٥ مبحوثًا من الموظفين.

ـ ٣١ مبحوثًا من أعضاء هيئة التدريس.

(١) عبد اللطيف محمد خليفة، شعبان جاب الله رضوان، الشخصية المصرية: الملامح والابعاد: دراسة سيكولوجية، دار غريب للطباعة والنشر، ١٩٩٨.

وقد تم تقسيم سمات الشخصية إلى ١٣٣ بنداً أو سمة، وتضمنت تعليمات المقياس تقدير المبحوث لدرجة انطباق كل صفة من الصفات على شخصية الإنسان المصرى المعاصر بوجه عام وأوضحت نتائج الدراسة أن أكثر سمات الشخصية المصرية شيوعًا كما يتصورها أفراد العينات الثلاث تتمثل في:

١ـ مرح يحب الفكاهة	٢ـ محب لوطنه
٣ـ دمه خفيف	٤ـ يهتم بأسرته
٥ـ كريم	٦ـ يشعر بالانتماء لوطنه
٧ـ يحافظ على عاداته وتقاليده	
٨ـ اجتماعى	٩ـ حمال للهم
١٠ـ غيور	١١ـ متسامح
١٢ـ مخلص	١٣ـ صبور
١٤ـ متحمل للمسئولية	١٥ـ يقدر الحياة الزوجية
١٦ـ متدين	١٧ـ محترم
١٨ـ شريف	١٩ـ طموح
٢٠ـ مثابر	٢١ـ يحب الخير لغيره
٢٢ـ متواضع	٢٣ـ معاملته تتسم باللين
٢٤ـ ذكى	٢٥ـ كلامه أحسن من فعله
٢٦ـ يجارى الآخرين	٢٧ـ حاضر البديهة

وقد تبين من الملامح العامة لهذه السمات الاكثر شيوعًا فى الشخصية المصرية:

ـ أن معظم هذه الصفات تتسم بالايجابية باستثناء صفة واحدة : كلامه أحسن من فعله.

- معظم هذه السمات يقع فى اطار مكونين من مكونات الشخصية المصرية هما المكون الاجتماعى، والمكون الدينى الاخلاقى حيث يندرج تحت المكون الاجتماعى عشر صفات، والمكون الدينى الاخلاقى سبع صفات، أما المكون الوجدانى فتضمن خمس صفات والمعرفى صفتين، واشتمل المكون الدافعى على صفتين

وبوجه عام تعكس هذه النتائج: أهمية الجانب الاجتماعى فى شخصية الإنسان المصرى ثم الجانب الدينى والاخلاقى، وجاء المكون الوجدانى والانفعالى فى المركز الثالث، وكان للمكونين المعرفى والدافعى أهمية محدودة واشتملا على سمات ذكى، حاضر البديهة، طموح، مثابر.